تدبر القرآن

مقدمة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد :

فهذا نص محاضرة ألقيتها في جامع الهريش بالرياض في موضوع تدبر القرآن ولأهمية هذا الموضوع رأيت تفريغ المحاضرة من الشريط وطباعتها ليعم النفع بها – إن شاء الله – وجزى الله خيرًا من قام بتفريغها وكتابتها وأثابه – إنه سميع مجيب .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على رسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد ، فإن أكبر نعمة أكرم الله بها على هذه الأمة هي بعثة محمد ﷺ وإنزال القرآن الكريم عليه لهداية الناس وتبصيرهم وتذكيرهم بما ينفعهم في الدنيا والآخرة ، فالقرآن كلام الله حروفه ومعانيه ، مترل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود . ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ ﴾ (1) فيه الهدى والنور .

قال الله سبحانه وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١ ﴾ (2) فهو كتاب عالمي لجميع البشر بل للجن والإنس بَشيرًا وَنَذيرًا لما سمعه الجن : ﴿ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ ﴾ (3). وقال تعالى : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ

(1) سورة الشعراء الآيات : ١٩٢ – ١٩٥ .

(2) سورة الفرقان آية : ١ .

(3) سورة الجن الآيتان : ١ – ٢ .

لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝ ﴾ [1] إلى آخر الآيات . وقد وصف الله سبحانه وتعالى هذا القرآن الكريم بأوصاف عظيمة فقال في أول سورة البقرة التي هي ثاني سور القرآن بعد الفاتحة . قال سبحانه وتعالى : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ ﴾ [2] فوصفه بأنه هدى للمتقين .

وقال في أثناء هذه السورة : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴾ [3] .

فوصفه الله في أول السورة بأنه هدى للمتقين ، ووصفه في أثنائها بأنه هدى للناس ، وهذا الوصف عام للمتقين وغير المتقين .

أما المتقون فهو هدى لهم بمعنى أنهم ينتفعون به ويستفيدون منه ويستضيئون بنوره ، وأما غير المتقين فهو هدى بمعنى أنه يبين لهم طريق الرشاد إذا أرادوا لأنفسهم الرشاد فهو هدي دلالة وإرشاد لكل الناس وهدي توفيق للمتقين خاصة الذين استجابوا لهذا القرآن .

لأن الهداية على قسمين ؛ هداية توفيق وعمل وهذه خاصة للمؤمنين ، وهداية دلالة وإرشاد وهذه عامة لجميع الناس . وقال سبحانه وتعالى في وصف هذا القرآن : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ ﴾ [4] .

(١) سورة الكهف الآيات : ١ – ٤ .
(٢) سورة البقرة الآيات : ١ – ٤ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٨٥ .
(٤) سورة الإسراء الآيتان : ٩ – ١٠ .

وصفه الله بأنه يهدي للتي هي أقوم يعني للطريقة التي هي أقوم الطرق وأعدلها الموصلة إلى الله سبحانه وتعالى . فإذا أردت الوصول إلى الله ﷻ وإلى جناته فعليك أن تعمل بهذا القرآن الكريم ؛ لأنه يدلك ويهديك ويرشدك إلى الطريق إلى الله سبحانه وتعالى .

كما وصفه في آية أخرى بأنه روح ، ومن معاني الروح ما تحيى به القلوب وتحصل به الحياة المعنوية كالجسم إذا كان فيه روح يكون حيًّا وإذا خرجت منه الروح يكون ميتًا قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ ﴾ [1] والمقصود بالروح هنا القرآن الكريم الذي أوحاه الله إلى رسوله .

هو روح للقلوب ، وروح القلوب أصح من روح الأبدان سماه الله روحًا لأنه تحيا به القلوب فإذا خالط هذا القرآن بشاشة القلب فإنه يحيى ويستنير ويعرف ربه ويعبد الله على بصيرة ويخشاه ويتقيه ويخافه ويحبه ويجله ويعظمه ؛ لأن هذا القرآن روح تحرك القلوب كالروح التي تحرك الأبدان والأجسام .

فكما أن الروح إذا دخلت الأبدان حركتها وأحيتها ، كذلك القرآن إذا دخل القلوب فإنه يحييها ويحركها لخشية الله ومحبته ، أما إذا خلت القلوب من القرآن فإنها تموت كما أن الجسم إذا خلى من الروح فإنه يموت فهناك موتان وحياتان ؛ أما الموتان فهما موت الجسم وموت القلب ، وأما الحياتان فحياة الجسم وحياة القلب ؛ لأن حياة الجسم تحصل للمؤمن وللكافر والتقي والفاسق بل تحصل للإنسان والحيوان ليس فيها ميزة . إنما الميزة في حياة القلب وهي لا تحصل إلا لعباد الله المؤمنين المتقين . أما الكفار وأما البهائم فإنها فاقدة لحياة القلوب وإن كانت فيها حياة الأجسام وحياة الأبدان .

أما المؤمن فإن فيه الحياتين حياة الجسم وحياة القلب والكافر فيه حياة الجسم وليس فيه حياة القلب .

---

(١) سورة الشورى آية : ٥٢ .

الحاصل أن الله سمى القرآن روحًا بمعنى أنه تحيا به القلوب وتبصر بنور الله بواسطته ويدلها على نجاتها وحياتها ويعرفها بخالقها وربها وهاديها .

وكذلك سمى الله هذا القرآن نورًا ، والنور هو الذي يضيء الطريق أمام الإنسان ويبصر به ما أمامه من الحفر والأشواك ليتجنبها ويبصره بالطريق السليم فيمشي معه .

أما فاقد النور فيكون في ظلمة فلا يرى الحفر ولا الأشواك ولا الأخطار لأنه لا يبصرها .

ونحن نعرف النور الحسي مثل نور الشمس ونور السراج ونور المصباح وسائر الأنوار المخلوقة هذا النور نعرف كيف نسير به في الطرقات والأسواق والبيوت ونعرف عن طريقه ما يحتاج إلى تجنب وإلى احتياط .

لكن نور القرآن نور معنوي تبصر به ما ينفعك في دينك ودنياك يبيّن لك الحق من الباطل ويصف لك الطريق إلى الجنة فأنت تسير فيه على نور من الله .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾ ﴾ (١) . فالقرآن نور معنوي تبصر به طريق الهدى من طريق الظلام ، تبصر به طريق الجنة من طريق النار تعرف به الضار والنافع ، تعرف به الخير والشر ، والقرآن نور يضيء للعالم طريق نجاتهم وطريق سعادتهم وطريق فلاحهم في الدنيا والآخرة .

كما وصفه الله بأنه فرقان قال الله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة النساء الآيتان : ١٧٤ – ١٧٥ .

(٢) سورة الفرقان آية : ١ .

فرقان بمعنى أنه يفرق بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال ، فهو فارق وفرقان يميز لك أيها المسلم ما ينفعك وما يضرك ويأمرك بفعل الخير وينهاك عن فعل الشر ويبصرك بما تحتاج إليه في دنياك وآخرتك ، فهو فرقان بمعنى أنه يفرق بين الحق والباطل .

وهو هدى بمعنى أنه يهدي ويدل ويرشد إلى الطريق المستقيم ، وهو نور لأنه يضيء لك الطريق .

وهو حياة لأنه يحيا به القلب ويشفى ويحيى به إذا كان قلبًا مريضًا أو ميتًا .

كما أنه سبحانه وتعالى وصف هذا القرآن بأنه شفاء قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ ﴾ (1) .

فهو شفاء من الأمراض الحسية والأمراض المعنوية ، هو شفاء للأمراض الحسية بحيث إذا قرئ على المريض أو المصاب بالعين أو الذي مسه جني فإنه يشفى بإذن الله إذا كانت هذه القراءة من قلب مؤمن واثق بالله سبحانه وتعالى . فإذا اجتمعت الثقة من القارئ والمقروء عليه فإن الله يكتب الشفاء للمريض .

وهو أيضًا شفاء من الأمراض المعنوية من أمراض الشكوك وأمراض الشبهات وأمراض الكفر والنفاق ، وهذه الأمراض أخطر من الأمراض الجسمية فهو يشفي القلوب ويزيل عنها ما أصابها من هذه الأمراض كما أنه يشفي الأبدان مما يصيبها من الأمراض الحسية .

وأمراض القلوب أشد من أمراض الأبدان ؛ لأن أمراض الأبدان غاية ما تنتهي إليه الموت والموت حاصل ولا محالة قال تعالى : ﴿ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا ﴾ (2) .

ولكن مرض القلب هو الخطير ؛ لأن مرض القلب إذا استمر به فإنه يموت بمعنى أنه يفسد نهائيًّا ويصبح صاحبه من الكافرين أو من الزائغين أو من الفاسقين ، فمرض القلب أشدّ خطرًا على الإنسان من مرض البدن ولا شفاء له إلا بالقرآن الكريم الذي أنزله الله

---

(1) سورة يونس آية : ٥٧ .

(2) سورة البقرة آية : ٥٧ .

شفاءً للناس قال الله تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [1] .

فجعله الله شفاءً للمؤمنين وخصهم بذلك لأنهم هم الذين ينتفعون به ويهتدون به فيزيل عنهم ما في قلوبهم من الوساوس والشكوك والشبهات .

وأما أهل النفاق وأهل الكفر وأهل الشرك فإنهم لا يستفيدون منه ما داموا على شركهم وعلى نفاقهم وكفرهم إلا إذا تابوا إلى الله سبحانه وتعالى .

ذلكم هو القرآن الكريم وهذه بعض أوصافه وله أوصاف كثيرة ذكرها الله سبحانه وتعالى في مواضع متعددة . ولكن ما موقفنا نحن المسلمين من هذا القرآن العظيم . إنه يجب على المسلمين نحو هذا القرآن العظيم واجبات عظيمة ومسؤولية كبيرة سنتحدث عن أهمها :

(١) سورة الإسراء آية : ٨٢ .

تعلم القرآن وتعليمه

أولاً : يجب على المسلمين أن يتعلموا هذا القرآن ويتدارسوه ويدرّسوه لأولادهم ولإخوانهم وأن يعتنوا بحفظه وإتقان أدائه

لقول الرسول ﷺ ﴿ خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه ﴾ [1] . أي تعلّم القرآن في نفسه وأتقن تعلمه ثم يعلمه لغيره من إخوانه المسلمين لا يقتصر على نفسه بل يمد خيره ويمد نفعه إلى إخوانه وإلى أبناء المسلمين .

فالمطلوب من المسلم أن يعتني بتعلم هذا القرآن ، ولا يكفي من الإنسان أن يتهجى القرآن تهجيًا ما دام أنه متمكن من أن يتعلمه ويتقنه إتقانًا صحيحًا وينطق به على الوجه الصحيح ولا يكتفي بالتهجي ، وإذا كان التهجي ومحاولة قراءة القرآن فيه خير كثير . وقد قال النبي ﷺ : ﴿ والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران ﴾ [2] ولكن هذا لمن لا يقدر إلا على ذلك فإنه يقرأ حسب استطاعته ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها ، ولا يترك المسلم تلاوة القرآن مهما قدر عليها ، ولكن من كان يقدر ويجد من يعلمه ويرشده إلى القراءة الصحيحة فإنه يجب أن يتعلم القراءة على الوجه المطلوب ولا يبقى على جهله بالقراءة الصحيحة قال ﷺ : ﴿ الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران ﴾ [3] .

---

(١) البخاري فضائل القرآن (٤٧٣٩) ، الترمذي فضائل القرآن (٢٩٠٧) ، أبو داود الصلاة (١٤٥٢) ، ابن ماجه المقدمة (٢١١) ، أحمد (٦٩/١) ، الدارمي فضائل القرآن (٣٣٣٨) .

(٢) البخاري تفسير القرآن (٤٦٥٣) ، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٩٨) ، الترمذي فضائل القرآن (٢٩٠٤) ، أبو داود الصلاة (١٤٥٤) ، ابن ماجه الأدب (٣٧٧٩) ، أحمد (٢٦٦/٦) ، الدارمي فضائل القرآن (٣٣٦٨) .

(٣) البخاري تفسير القرآن (٤٦٥٣) ، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٩٨) ، الترمذي فضائل القرآن (٢٩٠٤) ، أبو داود الصلاة (١٤٥٤) ، ابن ماجه الأدب (٣٧٧٩) ، أحمد (٩٨/٦) ، الدارمي فضائل القرآن (٣٣٦٨) .

الماهر المقصود به الذي يجيد قراءة القرآن على الوجه الصحيح هذا يكون يوم القيامة مع السفرة الكرام البررة ؛ أي الملائكة الكرام سموا سفرة جمع سفير لأنهم سفراء بين الله وبين رسله في تبليغ الوحي وتبليغ الرسالات فهم سفراء من الله ﷻ يرسلهم إلى عباده ويرسلهم إلى أنبيائه ورسله لتبليغ الرسالات .

كرام بررة أي كرام عند الله سبحانه وتعالى (بررة) جمع بار من البر وهو فعل الخير وفعل الطاعة . فهذا يا أخي المسلم جزاء من يتقن قراءة القرآن على الوجه المطلوب ينال هذه الرفعة الطيبة فاحرص على أن تكون مع الكرام البررة ؛ والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق فلا يترك قراءة القرآن فإنه يقرأ حسب استطاعته إلى أن يتمكن ويجد من يعلمه القراءة على الوجه الصحيح ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ (1) .

---

(1) سورة البقرة آية : ٢٨٦ .

تلاوة القرآن عبادة

ثانيًا : فإذا تعلمنا القرآن وأجدنا النطق به وأجدنا أداءه فإن هذا لا يكفي بل يجب أن نتعاهد قراءته وتلاوته لأن تلاوته عبادة وفيها أجر كبير .

قال ﷺ ﴿ من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول آلم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف ﴾ (١) .

وقال ﷺ ﴿ تعاهدوا هذا القرآن فإنه أشد تفلتًا من الإبل في عقلها ﴾ (٢) .

والمقصود أكثروا من تلاوة هذا القرآن ، فالإنسان إذا غفل عن القرآن ومضى عليه مدة وهو لم يتل يصاب قلبه بالإعراض والغفلة والقسوة ، أما إذا أكثر من تلاوته فإنه يحيي قلبه ويجلي ذاكرته .

ولهذا ينبغي للمسلم أن لا يمر عليه شهر على الأقل إلا وقد قرأ القرآن كله – هذا هو الحد الأخير – وإن قرأه فيما هو أقل من ذلك في كل عشرة أيام مرة بحيث يختمه في الشهر ثلاث مرات فهذا حسن .

وإذا قرأه في كل سبعة أيام فهذا أحسن .

وإذا قرأه في كل ثلاثة أيام مرة فهذا أحسن .

فإنه كلما زاد من تلاوة القرآن زاد أجره واستنارت بصيرته وحياة قلبه .

وتلاوة القرآن مُيسّرة سواء كانت تلاوة مجردة عن الصلاة بأن يتلو الإنسان القرآن وهو جالس أو راكب أو مضجع متوضئ أو غير متوضئ من غير مسّ للمصحف في حالة عدم الوضوء ، أما من عليه حدث أكبر فلا يقرأ القرآن حتى يغتسل ، ويتلوه في الصلاة

(١) الترمذي فضائل القرآن (٢٩١٠) .

(٢) البخاري فضائل القرآن (٤٧٤٦) ، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٩١) ، أحمد (٤١١/٤) .

وهذا أفضل أو يتلوه في قيام الليل أو التهجد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۝ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْءًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ۝ ﴾ (1) .

فالذي يتلو القرآن في صلاة الليل أفضل من الذي يتلو القرآن وهو جالس أو في النهار وإن كانت قراءة القرآن في أي وقت عبادة عظيمة لكنها تتفاضل وتتفاوت بحسب الأوقات والأحوال .

وكلما أكثر الإنسان من تلاوة القرآن في صلاة الفريضة في الركعتين الأوليين من الرباعية والثلاثية أو في صلاة الفجر فإنه كلما أطال فإن ذلك أفضل ؛ ولذلك سمى الله القرآن صلاة قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ (2) .

والمقصود لا تجهر بالقرآن في صلاتك ولا تخافت به ، كما أن الله سمى الصلاة قرآنًا كما في قوله تعالى : ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ (3) .

فسمى صلاة الفجر قرآنًا لأنها تطول فيها القراءة أكثر من غيرها .

الحاصل من هذا كله أن الله سبحانه وتعالى يطلب منا ويأمرنا أن نقرأ القرآن وأن نكثر من تلاوة القرآن في صلاتنا الفريضة والنافلة وفي بقية أحوالنا سواء كنا جالسين أو راكبين أو مضجعين ، وقد كان النبي ﷺ يقرأ القرآن على غالب أحواله و لم يكن يمنعه من تلاوة القرآن إلا الجنابة ، وكذلك لا يجوز قراءة القرآن في حالة الحيض للمرأة أو النفاس لأن هذا حدث أكبر يمنعها من تلاوة القرآن إلا عند الضرورة ، ولا يجوز قراءة القرآن في الأماكن النجسة والقذرة كالحمام . أما الأماكن النظيفة والأماكن الشريفة الطاهرة المناسبة فينبغي للإنسان أن يقرأ القرآن كلما تمكن من ذلك سواء قرأه عن ظهر قلب أو

(1) سورة المزمل الآيتان : ٥ – ٦ .

(2) سورة الإسراء آية : ١١٠ .

(3) سورة الإسراء الآيتان : ٧٨ – ٧٩ .

قرأه من المصحف ليكون له حظ من أجر التلاوة التي أخبر عنها ﷺ : ﴿ من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول آلم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف ﴾ (١) . وفي الحديث عن الرسول ﷺ : ﴿ ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله في من عنده ﴾ (٢) .

وكذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٣) .

مدحهم الله على هذه الصفات وأولها أنهم يتلون كتاب الله ﷻ بمعنى أنهم يقرؤونه ويكثرون من قراءته طلبًا للأجر والثواب واحتسابًا لوعد الله سبحانه وتعالى ثم يعملون به فيقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله سرًّا وعلانية رجاء ثوابه .

(١) الترمذي فضائل القرآن (٢٩١٠) .

(٢) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٩) ، الترمذي القراءات (٢٩٤٥) ، أبو داود الصلاة (١٤٥٥) ، ابن ماجه المقدمة (٢٢٥) ، أحمد (٢/٢٥٢) .

(٣) سورة فاطر الآيتان : ٢٩ - ٣٠ .

التدبر والتفكر في معاني القرآن وأسراره

ثالثًا : لا يكفي منا أن نتعلم القرآن الكريم وأن نتلوه ونكثر من تلاوته ، لا يكفي هذا بل لا بد من التدبر والتفكر في معانيه وأسراره وما عرفنا به من أسماء الله وصفاته وعظمته ، وما قصه علينا من أخبار الأمم السابقة المؤمنين والكافرين .

وما حلّ بالمكذبين والمجرمين وما أكرم الله به المؤمنين الطائعين وكذلك نتدبر أخباره عن اليوم الآخر وما فيه من الحساب وما فيه من وزن الأعمال وما فيه من تطاير الصحف وما فيه من الجنة والنار وما فيه من الأهوال العظيمة وكذلك نتدبر ما يكون بعد الموت وما يكون في القبر ، ولقد ذكر لنا القرآن هذا مفصلاً وهو أمر مستقبل نحن قادمون عليه من أجل أن نستعد له بالأعمال الصالحة ونتجنب الأعمال المحرمة . وكذلك نتفكر في أحكامه الشرعية فقد بيّن ما يحل لنا ويحرم علينا وما ينبغي لنا وما لا ينبغي لنا من الأفعال والصفات وغير ذلك .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (1) .

فبيّن الله في هذه الآية الهدف من إنزال القرآن وهو أن نتدبر آياته بمعنى أن نتفكر في معانيها ومدلولاتها وأسرارها وأخبارها حتى نستفيد منها الهداية ونستفيد منها خشية الله سبحانه وتعالى وعبادته وحده لا شريك له ونعرف ما نأتي وما نترك من الأعمال والأقوال والمعاملات وغير ذلك ولا يتم هذا ولا يحصل إلا بتدبر القرآن .

ووصف الله تعالى القرآن بأنه مبارك ففيه البركة بكل معانيها فمن يتدبره يحصل على هذه البركة ، ومن تعلمه يحصل على هذه البركة ، ومن قرأه وتلاه يحصل على هذه البركة ، ومن عمل به حصل على البركة ، وكلما قربت منه حصلت على هذه البركة .

(1) سورة ص آية : ٢٩ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [1] . فالله يستنكر على هؤلاء الذين أعرضوا عن كتاب الله ﷻ وأنه قد سبب لهم هذا الإعراض الحيرة والضلال ولو أنهم تدبروا كتاب الله وأقبلوا عليه وتأملوا فيه لحصلت لهم الهداية ولانتقلوا من حالة الشقاء إلى حالة السعادة . ولو تدبروه لعرفوا أنه كلام الله لأنه لا يتناقض بل يصدق بعضه بعضًا ويفسر بعضه بعضًا ويشبه بعضه بعضًا في الحسن والبلاغة والصدق والإعجاز . فليس فيه اختلاف بل يصدق بعضه بعضًا ويوضح بعضه بعضًا ويؤيد بعضه بعضًا فهو كتاب متآلف ومتشابه قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾ [2] . أي يشبه بعضه بعضًا في الحسن والإتقان والصدق ويفسر بعضه بعضًا وليس فيه اختلاف أبدًا .

بخلاف كلام المخلوق فإنه يوجد فيه الخلل لأن المخلوق ناقص وفيه تناقض وربما يكذب بعضه بعضًا ، أما كلام الخالق جل وعلا فإنه منزه عن ذلك هو كتاب متقن محكم ليس فيه خلل وليس فيه نقص وليس فيه تناقض مما يدل على أنه تنزيل من حكيم حميد . قال الله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [3] .

فإذا قرأت القرآن بتدبر وتمعن وحضور قلب وتفكر في معانيه فإنه يزيل عنك أوهامًا كثيرة ووساوس عظيمة ويبعث في قلبك الطمأنينة ويقوي فيك الإيمان قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ ﴾ [4] .

(١) سورة النساء آية : ٨٢ .

(٢) سورة الزمر آية : ٢٣ .

(٣) سورة هود آية : ١ .

(٤) سورة الأنفال الآيات : ٢ - ٤ .

فتلاوة القرآن مع تدبره والتفكر فيه تزيد في إيمان العبد قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (١) .

وكلما أكثر الإنسان من تدبر هذا القرآن فإنه يزيد إيمانه ويزيد يقينه ويطمئن قلبه ويزيد علمه وفقهه . فإنه لا يشبع منه العلماء . ولا تفنى عجائبه . ولا يخلق من كثرة الرد .

وقال سبحانه وتعالى في الرد على المرتدين والزائغين : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ﴾ (٢) .

ولو أنهم تدبروا القرآن لزالت عنهم كل هذه الأمراض وهذه العوارض القبيحة ، ولوصلوا أرحامهم ، ووصلوا ما أمر الله به أن يوصل ، ولأطاعوا الله ورسوله ، ولكنهم لما أعرضوا عن القرآن ولم يتدبروه ابتلوا بهذه المصائب ؛ فابتلوا بالقطيعة ، وحقت عليهم اللعنة ، ووقعوا في الردة . كل ذلك بسبب أنهم لم يتدبروا القرآن . وأغلقت قلوبهم عن الفهم : ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٣) .

فالإنسان إذا أعرض عن القرآن فإن قلبه يقسو ويمرض وفي النهاية يقفل فلا يصل إليه الهدى ولا النور عقوبة له والعياذ بالله كل هذا بسبب عدم تدبر القرآن الكريم ولهذا يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :

فتدبر القرآن إن رمت الهدى ... فالعلم تحت تدبر القرآن

(١) سورة التوبة آية : ١٢٤ .

(٢) سورة محمد الآيات : ٢٢ – ٢٦ .

(٣) سورة محمد آية : ٢٤ .

العمل بالقرآن

رابعًا : لا يكفي منا أن نتعلم القرآن وأن نتلو القرآن وأن نتدبر القرآن بل لا بد من الأمر الرابع وهو العمل به بمعنى أن نحل حلاله ونحرم حرامه ونتقيد بأوامره ونتجنب ما نهانا عنه .

وهذا هو المقصود وما سبق من تعلمه وتلاوته وتدبره كله وسيلة إلى العمل . أما إذا اقتصرنا على التلاوة والتدبر وتركنا العمل فإننا وقفنا في أول الطريق و لم نحصل على شيء وصار تعبنا لا فائدة منه ؛ لأننا أتعبنا أنفسنا في السبب وتركنا الثمرة ؛ لأن الثمرة هي العمل بالقرآن .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ۝٣٠ ﴾ [1] .

فهذه الآية دلّت على أنهم لم يقتصروا على التلاوة بل أقاموا الصلاة بعد أن قاموا بتلاوة كتاب الله ، وكذلك أنفقوا مما رزقهم الله بإيتاء الزكاة والصدقات والإحسان إلى المخلوقين وهذه هي ثمرة التلاوة وهي العمل بما فيه ؛ لأنك إذا عملت به صار حجة لك عند الله سبحانه وتعالى ، وإذا عطلت العمل به صار حجة عليك . قال ﷺ ﴿ والقرآن حجة لك أو عليك ﴾ [2] . يسألك الله عنه يوم القيامة فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٠٥ ﴾ [3] . ﴿ قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ۝٦٦ ﴾ [4] . فالله سبحانه وتعالى يوم القيامة يقول للكفرة

---

(١) سورة فاطر الآيتان : ٢٩ – ٣٠ .

(٢) مسلم الطهارة (٢٢٣) ، الترمذي الدعوات (٣٥١٧) ، ابن ماجه الطهارة وسننها (٢٨٠) ، أحمد (٥/٣٤٤) ، الدارمي الطهارة (٦٥٣) .

(٣) سورة المؤمنون آية : ١٠٥ .

(٤) سورة المؤمنون آية : ٦٦ .

وأصحاب النار ألست قد بيّنت لكم في القرآن الكريم هذا المصير وهذه العاقبة من أجل أن تتجنبوها ومن أجل أن تعملوا الأعمال الصالحة التي تنقذكم منها .

فمن اقتصر على تعلم القرآن وتلاوة القرآن وتدبره و لم يعمل به ، فهذا أقام الحجة على نفسه ولهذا يقول بعض السلف : رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه ، قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : يقرأ قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ (١) . وهو يكذب ويقرأ قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (٢) . وهو يظلم .

فليس المطلوب من قراءة القرآن هو مجرد التغني بألفاظه والتلذذ بالصوت الجميل ، فإن هذا لا يكفي ولا يفيد . كما يفعل بعض الناس اليوم فقد اتخذوا تلاوة القرآن حرفة للتطريب ولتشنيف الأسماع ، يتلذذون بسماع القرآن ويلذذون آذانهم ، ولكنهم لو سئلوا عن العمل والتطبيق لم تجد إلا القليل ، فهذا لا يكفي ولا يفيد .

نعم ، مطلوب تحسين الصوت بالقرآن والأداء الحسن ؛ لأن هذا يؤثر ولأن هذا يليق بالقرآن ، ولكن لا يكون هذا هو المقصود ، بل يكون المقصود أن ينتفع الإنسان بالقرآن وأن يستفيد ويخشع إذا سمعه .

والرسول ﷺ كان يحب أن يستمع القرآن من غيره فكان ﷺ يستمع إلى قراءة أبي موسى الأشعري وكان ذا صوت حسن .

وأمر عبد الله بن مسعود أن يقرأ عليه ليستمع فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿ كيف أقرأ عليك وعليك أنزل فقال ﷺ إني أحب أن أسمعه من غيري . فقرأ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من أول سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا

---

(١) سورة آل عمران آية : ٦١ .

(٢) سورة هود آية : ١٨ .

بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [1] . فقال النبي ﷺ حسبك ﴾ [2] . قال : فالتفت إليه ، يقول عبد الله بن مسعود ﷺ فإذا عيناه تذرفان فدلّ هذا على أنه يشرع للمستمع للقرآن أن يخشع ولا يكون مقصوده هو التلذذ فقط بل المقصود الخشوع من كلام الله سبحانه وتعالى .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [3] .

وهذا من آداب المسلمين مع القرآن : الاستماع والإنصات . أما الذي يقرأ القرآن أو يستمع للقرآن لمجرد التلذذ به فقط فهذا لا يستفيد شيئًا إنما الذي يستفيد هو الذي يخشع من كلام الله سبحانه وتعالى . هو الذي يفقه ويتفقه معاني كلام الله سبحانه وتعالى . هو الذي يعمل بكلام الله سبحانه وتعالى . هو الذي يقرأ القرآن أو يستمع للقرآن احتسابًا لوجه الله سبحانه وتعالى ، لا من أجل الرياء والسمعة أو تحسين الصوت أو التلذذ بالأصوات ، فهذا كله لا يكفي ولا يفيد الإنسان شيئًا ما لم يتصف بهذه الصفات العظيمة .

هذا ، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن الذين يتلونه حق تلاوته ويتدبرونه حق تدبره ويعملون به ويخلصون لله سبحانه وتعالى أعمالهم ، إنه سميع مجيب .

---

(١) سورة النساء آية : ٤١ .

(٢) البخاري تفسير القرآن (٤٣٠٦) ، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٨٠٠) ، الترمذي تفسير القرآن (٢٠٢٥) ، أبو داود العلم (٣٦٦٨) ، أحمدم مسند المكثرين من الصحابة (١ / ٣٧٤) ، ابن ماجه الزهد (٤١٩٤) .

(٣) سورة الأعراف آية : ٢٠٤ .

صيانة القرآن عن تفسيره بغير علم

خامسًا : يجب أن يصان القرآن الكريم عن أن يفسر بغير علم . قال ﷺ : ﴿ من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار ﴾ (1) قال الترمذي هذا حديث حسن . فالقرآن يجب أن يفسر بالقرآن ، أو بسنة رسول الله ﷺ أو بأقوال الصحابة أو بأقوال التابعين ، أو بما تقتضيه لغة العرب التي نزل بها ، هكذا على الترتيب المذكور ، أما تفسير القرآن بالرأي فحرام وعليه وعيد شديد وهو من القول على الله بلا علم .

ومن ذلك تفسيره بالنظريات الحديثة التي هي في الغالب من تخرصات الجهال وهي تتناقض وتتغير ويكذب بعضها بعضًا ، فلا يجوز أن تجعل تفسيرًا لكتاب الله ﷻ كما يفعله بعض الجهال اليوم فيما يسمونه بالإعجاز العلمي ، فإن هذا الأمر جد خطير ، وهو من التلاعب بكتاب الله ﷻ فالواجب على المسلمين الحذر من ذلك والتحذير منه . وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(1) الترمذي تفسير القرآن (٢٩٥١) ، أحمد (١/٢٣٣) .

أسئلة وأجوبة

وهذه أسئلة وأجوبة في موضوع المحاضرة أحببنا ذكرها تتميمًا للفائدة :

س١ : ورد في الحديث قول الرسول ﷺ " عرضت عليّ ذنوب أمتي فلم أر أعظم من رجل حفظ آية ثم نسيها " أو كما قال ﷺ . فما معنى هذا الحديث ؟

جـ - أنا لا أعرف هذا الحديث و لم أطلع عليه ولكن النسيان على قسمين ؛ الأول : إذا كان ذهولاً أو بسبب مرض أصاب الإنسان فهذا لا يؤاخذ عليه ، والثاني : إذا كان بسبب الإعراض عن تلاوة كتاب الله فهذا يؤاخذ عليه لأنه نسيه بسبب الإهمال .

س٢ : فضيلة الشيخ : إني أحاول أن أقرأ القرآن الكريم وأحب كتاب الله كثيرًا ولكن صدري يضيق علي فلا أستطيع أن أكمل التلاوة فما هو الحل ؟

جـ - الحل فيما أرشد الله سبحانه وتعالى إليه في قوله : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (١) .

أرشدنا الله سبحانه وتعالى قبل أن نتلو القرآن أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم من أجل أن يطرد الله عنا هذا العدو وأن يبعده عنا .

وعليك بالتدبر فإنك إذا تدبرته فإن هذا مما يجلب لك الخشوع ويرغبك بالقرآن الكريم ولا يكون كل همك إكمال السورة أو ختم الجزء أو ما أشبه ذلك بل يكون مقصودك هو التدبر والتفكر فيما تقرأ من آيات الله سبحانه وتعالى وكان ﷺ يطيل القراءة في صلاة الليل ولا يمر على آية رحمة إلا وقف وسأل الله ولا يمر بآية فيها ذكر العذاب إلا وقف واستعاذ بالله مما يدل على أنه ﷺ كان يقرأ بتدبر وحضور قلب .

---

(١) سورة النحل الآيتان : ٩٨ - ١٠٠ .

س٣ : فضيلة الشيخ : ما نصيحتكم للشباب في أسهل طريقة لحفظ كتاب الله سبحانه وتعالى ؟

جـ - القرآن ميسر وسهل الحفظ قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (١) . والشأن هو في عزيمة الإنسان وصدق نيته فإذا كان لديه عزيمة صادقة وإقبال على القرآن فإن الله ييسر له حفظه ويسهله عليه . وهناك أمور تساعد على حفظه كتخصيص وقت مناسب في كل يوم تحضر مع مدرّس القرآن في المسجد - والحمد لله المدرّسون اليوم كثيرون ولا تجد حيًّا من الأحياء إلا وفيه من يدرّس القرآن وهذه فرصة عظيمة ما كانت موجودة في الزمان السابق فعلى الأخ أن يختار أي حلقة من الحلقات أو أي مدرّس من المدرسين ويلازم الحضور معه يوميًّا إلى أن يكمل القرآن .

وأيضًا عليك أن تكثر من استعادة ما قرأت مرة ثانية وثالثة حتى يثبت في قلبك وذاكرتك وعليك بالعمل بكتاب الله فإنه أعظم وسيلة لتعلمه قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

س٤ : فضيلة الشيخ حفظه الله التفاسير كثيرة فما هو التفسير الذي تنصح بقراءته وجزاك الله خيرًا ؟

جـ - لا شك أن التفاسير كثيرة والحمد لله وهذا من نِعَمِ الله سبحانه وتعالى . والتفاسير متفاوتة منها المطول ومنها المختصر ومنها التفسير السالم من الأخطاء ومنها التفسير الذي فيه أخطاء ولا سيما في العقيدة . والذي أنصح به إخواني من الشباب هو تفسير ابن كثير فإنه من أعظم التفاسير وأحسنها طريقة ومنهجًا بالرغم من اختصاره لأنه يفسر القرآن بالقرآن أولاً ثم بالسنة النبوية ثم بأقوال السلف ثم بمقتضى اللغة العربية التي نزل بها فهو تفسير متقن وموثوق .

---

(١) سورة القمر آية : ١٧ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٢ .

وأيضًا هناك تفسير البغوي وتفسير الحافظ ابن جرير الطبري فهو تفسير واسع وشامل فهذه التفاسير موثوق بها وكذلك تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي فهو تفسير جيد وسهل العبارة غزير العلم أما بقية التفاسير فهي تجيد في بعض النواحي ولكنها فيها أخطاء ولا سيما في العقيدة . ولا يصلح أن يقرأ فيها إلا الإنسان المتمكن بحيث يأخذ منها ما فيها من الخير ويتجنب ما فيها من الخطأ لكن المبتدئ لا يستطيع هذا فعليه أن يأخذ التفسير الذي ليس فيه مزالق وليس فيه أخطاء مثل تفسير ابن كثير وتفسير البغوي وتفسير الحافظ ابن جرير وكلها تفاسير والحمد لله قيمة وجيدة .

س٥ : ما هي أهم الدروس التي يبدأ بها طالب العلم وبماذا تنصحه وماذا تقول لمن يتعلل بالدراسة حينما نريد أن نصحبه إلى حضور الدروس والمحاضرات ؟

جـ - أولاً : طالب العلم يجب عليه أن ينضم إلى أحد المعاهد العلمية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فإن فيها المقررات الطيبة المرتبة على حسب درجات طلبة العلم شيئًا فشيئًا ، السنة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة . وهكذا وكل سنة فيها مقررات تختلف عن مقررات السنة السابقة بالتدرج وهي مقررات اختارها علماؤنا وأساتذتنا الذين أحسنوا في تأسيس هذه المعاهد واختيار المناهج المقررة لها . فأوصي طالب العلم أن ينضم إلى أحد هذه المعاهد مهما أمكن ذلك . ثم يلتحق بعدها بالكليات الجامعية مثل كلية الشريعة وكلية أصول الدين ، وكلية الحديث وعلومه ، وكلية اللغة العربية وهكذا وبإمكان طالب العلم الذي لم يلتحق بهذه المعاهد وهذه الكليات أن يجد مجالاً له في دروس العلماء الذين يُدرّسون في المساجد ، وهي والحمد لله كثيرة ، وهذه الدروس شاملة لجميع العلوم الشرعية .

وأوصي طالب العلم بأن يلازم هذه الدروس سواء في الكليات أو في الدروس التي تلقى في المساجد فلا يكفي منه أن يحضر في أسبوع ويتغيب في أسابيع أو يحضر شهرًا ويتغيب شهورًا . فإن هذا لا يستفيد شيئًا لأنه إذا فاته شيء من العلم يبقى فراغًا في ذاكرته ومعلوماته ويفوته خيرٌ كثير فالشأن في الملازمة والإقبال والحرص .

س٦ : فضيلة الشيخ حفظه الله ما رأيكم فيما يفعله بعض الناس الآن حيث أنهم إذا مرّ الإمام في الصلاة بآية عذاب استعاذ بالله مع أنهم في صلاة وإذا مرّ بآية رحمة سأل الله وهكذا فما الحكم في ذلك جزاكم الله خيرًا ؟

جـ - لا شك في مشروعية ذلك في النافلة لأن الرسول ﷺ كان يفعله في النافلة . أما في الفريضة فالذي أراه أن هذا لا يشرع لأن الرسول ﷺ ما كان يفعله بالفريضة وإنما كان يفعله بالنافلة .

فينبغي للمأموم أن ينصت للقرآن في الصلاة ولا يقول شيئًا أبدًا قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [(١)] . قال الإمام أحمد ﷺ نزلت هذه الآية في الصلاة أي سبب نزولها كان في الصلاة فالمأموم يستمع إلى قراءة إمامه في الفريضة ولا يدعو عند آية الرحمة أو يستعيذ عند آية العذاب وإنما هذا في النافلة .

س٧ : فضيلة الشيخ هناك إمام في أحد مساجد الرياض له صوت جميل وحسن في القرآن وصار الناس يتوافدون عليه بكثرة من أماكن بعيدة وتركوا مساجدهم المجاورة لهم في الصلاة الجهرية خصوصًا في ليالي رمضان في التراويح فهل هذا جائز . أفيدونا جزاكم الله خيرًا ؟

جـ - نعم هذه ظاهرة موجودة وهو أن الناس يتكاثرون في بعض المساجد ويأتون من مكان بعيد إليها وهذا غير مرغوب فيه وأنا لا أستحسن ذلك لأن الأفضل أن تصلي في المسجد المجاور لبيتك وتعمره ، ولأن هذا لا تكلف فيه وأبعد عن الرياء . ولما قد يحصل عند إمام المسجد المتروك من التأثر النفسي والفرقة بينه وبين جماعة مسجده الذي لا يصلون معه وإذا ترك الناس مساجدهم وذهبوا إلى مساجد معينة تعطلت المساجد الأخرى ، فأنا لا أستحسن ذلك ، والأفضل أن كل أهل حي من الأحياء يصلون في مسجدهم .

---

(١) سورة الأعراف آية : ٢٠٤ .

الشيء الثاني : أن الناس إذا تكاثروا في مسجد ربما يصلون في الشوارع والصلاة في الشارع لا تجوز إلا عند الضرورة مثل يوم العيد أو يوم الجمعة فإن المسجد يضيق في هذه المناسبات فتجوز الصلاة في الشارع في مثل هذه الحالات إذا ضاق المسجد لأنها لا تفعل في غيره . فإذا ترتب على الاجتماع في مسجد من المساجد أنهم يصلون في الشارع في غير صلاة الجمعة فهذا لا يجوز لأن الصلاة في الشارع تجوز في حالة الضرورة .

س٨ : فضيلة الشيخ ما حكم من يقرأ القرآن وهو على غير وضوء سواء كانت قراءة عن ظهر غيب أو من المصحف ؟

جـ - يجوز للإنسان أن يقرأ القرآن على غير وضوء إذا كانت القراءة حفظًا عن ظهر قلب لأن الرسول ﷺ لم يكن يحبسه عن القراءة إلا الجنابة كان يقرأ متوضئًا وغير متوضئ .

أما المصحف فلا يجوز لمن عليه حدث أن يمسه لا الحدث الأصغر ولا الحدث الأكبر . قال الله تعالى : ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ (1) . أي المطهرون من الأحداث والأنجاس ومن الشرك وفي الحديث عن النبي ﷺ في الكتاب الذي كتبه إلى عامله عمرو بن حزم قال : « لا يمس المصحف إلا طاهر » (2) . وهذا باتفاق الأئمة الربعة أنه لا يجوز للمحدث حدثًا أصغر أو أكبر أن يمس المصحف إلا من وراء حائل كأن يكون المصحف في صندوق أو كيس أو يمسه من وراء ثوب أو من وراء كمه .

س٩ : ما رأي فضيلتكم فيمن يهتم بأمور المسلمين المهمة كالدعوة إلى الله وتربية الشباب على التمسك بالقرآن الكريم والسنة المطهرة ولا يجد الوقت لحفظ القرآن الكريم فما نصيحتكم لمثل هؤلاء ؟

---

(١) سورة الواقعة آية : ٧٩ .

(٢) مالك النداء للصلاة (٤٦٨) .

جـ - يجب على الداعية أولاً أن يتأهل قبل أن يباشر الدعوة بأن يدرس القرآن الكريم ومعانيه وتفسيره ويدرس السنة النبوية ما تيسر منها ويقرأ في شروحها ويتعلم الأحكام الشرعية . فيجب على الداعية إلى الله أن يكون مؤهلاً فلا يصلح للدعوة إلا من كان معه علم . قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ (١) . البصيرة هي العلم والحكمة وقال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ ﴾ (٢) .

فالجاهل لا يصلح للدعوة لأنه ربما يسيء للدعوة كأن يحلل حرامًا أو يحرم حلالاً أو يشدد في موضوع لا يتحمل التشدد أو غير ذلك فلا بد من شروط للداعية . الشرط الأساسي منها أن يكون متعلمًا العلم الذي يستطيع به أن يدعوا الناس إلى دين الله عز وجل .

وأيضًا ربما يعرض على الداعية شبهات تحتاج إلى جواب عنها فإذا كان جاهلاً فكيف يجيب على هذه الشبهات .

كيف يجيب على اعتراضات المعترضين أو كيف يقاوم الملاحدة والفساق والمشبهين فإذا لم يكن عنده علم فسوف ينهزم أمامهم . فلا بد للداعية من العلم بالقرآن وبالسنة النبوية وبالحديث وبالفقه وبالعقيدة وغيرها من العلوم .

(١) سورة يوسف آية : ١٠٨ .

(٢) سورة النحل آية : ١٢٥ .

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

الفهرس